

## نظرة خاصة لمفهوم الأمن / مجرد فكرة .

جلال خشيب .

قال تعالى "وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون "80" وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون "81" الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون "82" وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم "83" .." سورة الأنعام .

مروري اليوم بهذه الآية جعلني أعود لأفكر في الجدل الأكاديمي المرتبط بالدراسات الأمنية ، حيث ثار الجدل بداية حول مصطلح الأمن و مفهومه ، ماذا نقصد بالأمن أوّلا قبل أن نتحدث عن مجالاته أو قطاعاته ... إنحصر مفهوم الأمن كما نعرف في البدء في زاوية ضيقة عالجه المنظور الكلاسيكي الدولاتي ، أين كان الأمن مرتبطا بالدولة إبتداءً كمصدر منتج لهذا الأمن و كموضوع يُناط به هذا الأمن بصيغة كلاسيكية صارمة تُرادف فيها مفهوم الأمن مع الجانب العسكري المحض ، لأسباب تاريخية إمبريقية إرتبطت بالحرب العالمية الثانية ثم الحرب الباردة و أخرى أكاديمية و هي تلك المتعلقة بهيمنة المنظور الوضعي الواقعي على حقل الدراسات الدولية عموما و على الدراسات الأمنية على وجه التحديد لتتطور الدراسات الأمنية في ما بعد الحرب الباردة مع المنظور المابعدى و النظريات النقدية خصوصا أين طُرح مفهوم الأمن النقدي ... على كلّ حال فقد عاد الكثيرون ليُحدّدوا مفهومًا للأمن بإعتباره إعتاقا من الخوف ... ما أريد أن أشير إليه هنا مرتبطٌ بماهية هذا الخوف ... كلّ ما يجعل الإنسان في حالة خطر أو تهديد يصلحُ ليكون جوهرًا لهذا الخوف ، لكن أغلب إن لم نقل كلّ الدراسات جعلت مصدر الخوف هذا مصدرا ماديا على الإطلاق و نابعا من أفعال **الإنسان كمسبب لحالة** الخوف ثمّ كمتعرض لها بالضرورة ، بمعنى أنّ مصدر الخوف كان **مصدرا وضعيا** ، و هنا نرجع لنتأمل فحوى الآية الكريمة ، جاءت الآية كريمة على لسان سيدنا إبراهيم و هو يُنافح عن دين التوحيد و يرّد على قومه المنكرين بعد أن هدّوه "خوف" و توعدوه بالهلاك إذا ما أنكر آلهتهم فردّ عليهم بتسائل مبني على إيمان " وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله .." ليقبّل ميزان الخوف عليهم ، فلأثّم كفروا بالله خالقهم و رسالة نبيه فهم معرضون للخطر ، لذا تُقسم الآية الكريمة الناس إلى فئتين ، فئة أمنة " إنعدام الخوف" و أخرى غير أمنة "

معرضة لإضطراب الخوف" ، الأولى آمنة لأنها موحدة مُخلصة في إيمانها بالخالق و برسالته و الثانية غير آمنة لأنها منكرة أو جاحدة له... الأولى تجعل الله مركزا للكون و الثانية تجعل الإنسان مركزا له .

إذن صار المتعالي عن الطبيعة ، ما وراء الوضعي " أي الله " بهذا المفهوم هو المصدر الأول و الحقيقي للأمن أو الخوف بدلا من الإنسان كمصدر ثاني متسبب له ، و صار التوحيد " الإسلام " عاملا محددًا لأمن الإنسان أو لخوفه أمّا عن طبيعة هذا الخوف و نوعه فإمّا أن يكون خوفا حاليًا وضعيًا "العالم الدنيوي : إذا غضب الله على قوم لكفرهم أو لضلالهم يُرسل عذابه عليهم بآيات تصنعها قوانين إلهية في الطبيعة و ليس المعجزة " و إمّا أن يكون خوفا ما وراثيًا ميتافيزيقيا "العالم الأخروي : العذاب الأخروي ، جهنم " و هذا الخوف يسببه أساسا صراع الإنسان مع ذاته من أجل بلوغ الحقيقة الوجودية للكون و الخلق ، إذن هو صراع يحدث داخل الإنسان و خوف يحدث في ذاته يولده الشك " و ليس رسالة و دعوة نبي ، بعد ختم النبوة طبعًا " و ينهيه الإيمان كعامل أساسي لتحقيق جوهر الإنعتاق .